شخصاً واحداً نسبوا اليه اعمال الاثنين . فالفيلسوف الاسكندريّ مفسّر ارسطو هو يحيى النحويّ اليوناني والمبتدع لبدعة تثليث الطبائع في الله عزّ وجلّ . والاسقف المؤرخ صاحب عمرو بن العاص الذي عاش الى زمن العرب وخالطهم هو يحيى النحويّ اسقف فيقيوس او نحو

ومنهُ يتّضح قول صاحب الفهرست بعد نقله شيئاً من اقوال يحيى النحويّ : «وهذا يدلّ على انّ بيننا وبين يحيى النحويّ ثلثمائة سنة ونيف ... لانهُ كان في ايّام عمرو بن العاص» وقد قلنا انّ صاحب الفهرست ألّف كتابهُ سنة ٣٧٧ للهجرة اي ٩٨٧ للمسيح فان طرحنا ٣٠٠ من ٩٨٧ بقي ٦٨٧ وهذا يوافق ما ورد في تاريخ البطاركة لساويرس ابن المقفّع عن زمن يوحنا اسقف نحو

وان سأل سائل وهل يُعرَف ليوحنا هذا تآليف فلسفيّة فجوابنا ان ذلك من المحتمل وفي تاريخه ما يدلّ على معرفتهِ للآراء الفلسفيّة وعلى كل حال انّ اشتغالهُ بالتاريخ كان يوجب مطالعة كتب عديدة ومنهُ يتّضح اقتراحهُ على عمرو بان يسلّمهم خزائن كتب اليونان لمعرفتهِ باليونانية اذ كتب هو في هذه اللغة تاريخهُ . ومن المحتمل ايضاً ان يوحنا اسقف نيقيوس اشتغل بتفسير كتب جالينوس في الطبّ وانّ كتاب السماع الطبيعيّ الذي ورد ذكرهُ في الفهرست هو من تصنيفهِ والله اعلم

فهذا ما خطر على بالنا في هذه المسئلة التي لا نرى لها وجهاً قريباً للحلّ غير ما ذكرنا والله الموفق الى الصواب

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٢ على طريق بغداد

كان اليوم الثاني والعشرون من تشرين الثاني يوم وداعنا للموصل فقدّسنا الذبيحة الطاهرة لآخر مرّة في كنيسة الآباء الدومنيكان التي هي اجمل كنائس الموصل ذات ثلثة اسواق من الطرز الرومانيّ البوزنطي يعلوها قبّتان مرتفعتان

تركنان الى ثمانية اميال وهي على اسم القديس عبد الاحد مئشئ الرهبانية الدومنيكية. ثمَّ ذهبنا الى مقام السيدين البطريركين فطلبنا بركتهما وبعد ان شكرنا حضرة الآباء المرسلين تحفَّزنا للسفر

للراحل من الموصل الى بغداد طريقان طريق برية تمرُّ باربل شمالي دجلة حيث غلب الاسكندر الملك داريوس وظفر بمملكة الفرس ثم بكركوك الشهيرة بينابيعها النفطيَّة التي كان الكلدان يدعونها بتدينة بيت ساوخ وهي كركورا (Corcura) القديمة وهذه الطريق برية تقطعها القوافل بنحو عشرة ايام. وطريق نهرية على دجلة يقطعها المسافر راكباً للاطواف المعروفة بالكلكات. وهي اقصر وآمن من الطريق السابقة ففضلناها على الاولى لا سيما اننا لم نؤمل الفوز بما قصدناه من رحلتنا اي وجود الآثار الكتابية والمخطوطات القديمة مع ما تذكرنا من قول الشاعر في هجو اربل :

نبِّ الشيطاني وما سوَّلا لأنهُ انزلني إربلا
نزلتُها في يوم نحسٍ فما شككتُ اني نازلٌ كربلا
وقلتُ ما اخطا الذي مثَّلا باربلٍ اذ قال بيتُ الخلا
هذا وفي البازار قومٌ اذا عاينتهم عاينتَ اهل البلا
من كلِّ كرديٍّ حمارٍ ومن كلِّ عراقيٍّ نفاهُ الفلا
ربعٌ خلا من كل خيرٍ بلى من كلِّ عيبٍ وسقوط ملا
اخطأتُ والمُخطئ في مذهبي يُصنَعُ في قنِّيَ بالدِّلا

وان اردتَ ان تعلم ايها القارئ اللبيب كيف يتمّ السفر على الاطواف أحلتك الى تصاوير قديمة لا تزال مرسومة فيها اطواف قدماء الكلدان . ففي قصر خرساباد ترى صورة يترقَّى عهدها الى ثلثة آلاف سنة بتيف وهي تمثل قوماً من البادية يعدُّون اطوافهم لينحدروا عليها الى الجنوب فترى في ايديهم ظروفاً ينفخونها فاذا بلغت حجتها الاصليَّ شدُّوا فوهتها ثمَّ ربطوها ببعضها حتى يبلغ عددها العشرين والخمسين والمئة على قدر ما يريدون ان ينقلوا من الاثقال . فاذا تمَّ نفخها وربطها طلوها بالقطران ثم جمعوها بحصيرة من سعف النخل ونسَّقوها صفوفاً على شكل مربَّع او مستطيل ثمَّ بسطوا فوقها ألواحاً متساوية او اخشاباً غليظة يعبرون عليها احمالهم ثمَّ يطلقون هذه الاطواف الى جري المياه فتنحدر معها بقوَّة الماء حتى تبلغ

غايتها . ولا بُدَّ لهـذه الاطواف من ملّاح او اكثر يزيد حركتها بمقذافهِ وينظّم سيرها في وسط النهر لئلّا تصدم بضفّتيهِ او بالصخور البارزة منهُ . ومن ثمَّ ينبغي ان تكون المياه مرتفعة فوق قمرها فان قلّت الميـاه في وقت الصيف صعب وكوب الكلك او تقطّعت الاطواف بصدمها الصخور فيغرق الكلك

فطوفٌ مثل هذا وكبناهُ من الموصل الى بغداد وانَّما كان صغيرًا مستطيل الشكل طولهُ نحو اربعة امتار في عرض ثلاثـة فرشنا على مقدّمهِ بساطًا واتخذنا مؤخّرهُ لمبيتنا فاقمنا شبه حجرة نأوي اليها كانت جوانبها من اللبد والمشمّع لنتّقي حرّ النهار وبرد الليل وعند الصباح كنَّا نحوّل تلك الحجرة الى معبـد صغير نتلو فيهِ صلواتنا ونقدّم الذبيحة الطاهرة

وكانت مياه النهر عند وصولنا الى الموصل قد قلّت في نهايـة الصيف فيصعب ركوب الكلك عليهـا لكنَّ الله سهّل الامر بنعمتهِ فهطلت الامطار مدَّة اقامتنا في الحدباء فتصاعدت المياه وقوي مـيل النهر فتيسَّر لنا السفر

ففي اصيل ذاك النهار ركبنا سفينتنا هذه . وأحبَّ حضرة الآباء الدومنكان ان يرافقونا الى النهر فودَّعونا داعين لنا بسلام الرحيل . وكان أذى بهم اللطف الى ان يقدّموا لنا زادًا للسفر فعجزنا عن شكرهم وطلبنا الى الله ان يجزل ثوابهم

كنَّا على ظهر طوفنا ثمانية اشخاص منهم كاهن كلدانيّ طلب ان يرافقنا الى بغداد ثم مسلم من وجوه تكريت كان عائدًا الى وطنهِ ثمَّ يهوديّ مسكين من نصيبين استرحمنا لنقلهُ بصفة خادم ثمَّ بدويّ لقيادة الطوف وتسييره في مأمن من شواطئ النهر . وكنَّا طلبنا من الحكومة المحلّية ان ترسل معنا ضابطًا لما كنَّا نسمع من حركات الاكراد في الجهات الواقعة بين الموصل وبغداد

ليس سيرٌ اهدأ واهنأ من سير الكلك على دجلة والفرات اللهمَّ اذا كان النهر زاخرًا فانَّ الراكب لا يشعر بحركة البتَّة فيسير وعلى جانبيهِ ضفّتا النهر يسرّح فيهـا نظرهُ دون انقطاع فتتوالى الصور وهو لا يملّ من معاينتها وربما ارتسمت اشكالها في الماء اذا كان صافيًا فيجد المتأمل في انعكاسها على تلك المرآة الصقيلة بهجةً ولذَّة وكثيرًا ما يمتدُّ البصر الى الجهات المجاورة التي تُشرف على النهر من قرى وآكام وغابات ولا سيما غابات النخل التي تبسط شُطَبها في الفضاء فيتلاعبُ بها النسيم . واذا

مدَّ الليل رواقهُ تلألأت في الفلك الكواكب الزُّهر وتمثَّلت للعيان في وجه المياه

سرنا في ذلك المساء والهواء عليل والجوّ صافٍ فكان من اهنإ ايام الربيع . وبعد ثلث ساعات من الزمان وصلنا الى قيارات الموصل فهناك ترى الماء فائرًا يتكوَّن منهُ القير وعلى جانبي النهر حمَّامات كبريتيَّة ومعدنيَّة يستحمّ بها المرضى فكنَّا نستنشق رائحة الكبريت والنشادر . وقد اشتهرت هذه القيارات قديماً فقال في وصفها ابن بطوطة (٢ : ١٣٣)

وحلنا وترلنا موضعاً يعرف بالقيَّارة بقربة من دجلة وهنالك ارض سوداء فيها عيون تنبع بالقار ويُصنع له احواض يجتمع فيها فتراهُ شبهَ الصَّلصال على وجه الارض حالكَ اللون صائلًا وطباً وله رائحة طيّبة وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يطوها شبه الثعلب الرقيق فتقذفه الى جوانبها فيصير ايضاً قاراً وبقربة من هذا الموضع عين كبيرة فاذا ارادوا نقل القار منها اوقدوا عليها النارَ فتُشْتَف النارُ ما هنالك من رطوبة مائية ثم يقطعونه . وقد تقدَّم لنا ذكرُ العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو

وهذه المنابع المعدنيَّة تمتدّ على مسافة بضعة اميال بل وجدنا منها في صباح يومنا التالي وكان قوم من المستحمّين قائمين بجوار احد هذه الحمَّامات الذي يعرف بحمَّام علي . وقد وصف السيّد ادّي شير رئيس اساقفة سعرت حالًا (في المشرق ٣ : ١١٦) منابع النفط التي تجاور مدينة كركوك في الحلّ المعروف بباباكركور . كما وصف الدكتور نابوليون ماريني (٦ : ١٤٠) هيت ومنابعها المعدنيَّة في العدوة الشرقيَّة قريباً من الفرات

وكان الشيخ المسلم الذي معنا يعرف تلك الجهات فيرينا ما يستحقّ بينها الذكر ففي صباح اليوم الثاني من سفرنا كان مرورنا قريباً من « قلعة نمرود » او « تلّ كنج » على ضفَّة دجلة الشمالية حيث اجرى الاثريون لايَرد (Layard) وشميد (Schmidt) ورسَّام (Rassam) حفريَّات مهمَّة فوجدوا ثلثة قصور لآشارحدُون وسلمناصر الثالث وهيكلين كبيرين وبرجاً كُتب عليهِ انَّ مشيّدهُ سلمناصر بن اشوربنيبال . وفي تلك القصور تصاوير عجيبة وتماثيل مختلفة لآلهة الاشوريين وكتابات مسماريَّة . وهناك مسلَّة من الحجر البركانيّ الاسود يدعوها اهل تلك البلاد مسلَّة نمرود وهي ايضاً من آثار سلمناصر ورد فيها اسم ملك اسرائيل ياهو في جملة الملوك الدافعين الجزية لملوك بابل

وكان رفيقنا المسلم محبًّا للآداب حريصاً على معرفة الآثار فاخذ يلقي علينا الاسئلة على تاريخ البابليين ومآثرهم فاعجبتهُ شروحنا . ثمَّ انتقل الى مشاكل دينيَّة في حقّ النصرانيَّة فرأينا انَّ في عقلهِ من الاوهام ما نعهدهُ في كثير من اهل ملَّتهِ فيتصوَّرون النصرانيَّة على غير صحَّتها وينسبون اليها كثيراً من الخرافات التي يسمعونها من شيوخهم او يقرأونها في كتبهم دون ان يطلعهم احد على حقيقتها . وكان هذا الشيخ سليم النيَّة فاذ عرف منَّا وجه اليقين اقرَّ بسو. فهمهِ لمعتقدات النصارى اثرهُ الله وارشدهُ وامثالهُ الى سواء السبيل

وفي يومنا هذا لقينا في طريقنا نهرين كبيرين من سواعد دجلة يصبَّان فيها اعني الزاب الاعلى (بوبوك زاب) الذي دعاهُ اليونان (Lycus) نهر الكلب كنهرنا اللبناني ورأسهُ في بلاد العجم في حدود اذربيجان يصبُّ فيهِ نهر يُعرف بالغزير وكلاهما يدخل في دجلة . والنهر الآخر هو زاب الاسفل او الصغير (كوتجك زاب) يجري ايضاً من فارس ويصب في دجلة على مسافة نحو ١٠ كيلومترات من الزاب الاعلى شرقاً . وبقرب الزاب الاعلى على دجلة كانت مدينة « الحديثة » المعروفة بحديثة الموصل وحاضرة تلك البلاد قديماً

وبين النهرين تلٌّ يُدعى اليوم قلعة شرقاط على الضفَّة الغربيَّة من دجلة على نحو تسعين كيلو متراً من الموصل فهذا التلّ مربَّع الشكل وفي اعلاه شبه هرم هو بقيَّة برج كان قدماء الاشوريين اقاموهُ لالههم اشور وكان على سبع طبقات على عدد السيارات السبع وهو المعروف بالزقورة (١ (ziggourat) . وحول التلّ اخربة استوقفت انظار الاثريين فباشر لايرد الفرنسويّ مع رصفائهِ هناك بحفريَّات اوقفتهم على بقايا هيكل عظيم كان مشيَّداً لذكر الاله اشور وجدوا فيهِ سواري واعمدة ومعابد شتى وتماثيل اشوريَّة وكتابات مهمَّة منها واحدة كانت مكرَّرة على قطع من الآجرّ على اربع زوايا الهيكل يُستفاد منها انَّ مشيّد الهيكل او مرمّمهُ انما كان الملك تجلات فلاسر الاوَّل في اوائل القرن الثاني عشر قبل المسيح . وكل هذه الابنية الفخيمة كانت باللبن ومنها ما صبر على الزمان اكثر من الحجر . ثم استأنف الالمان

١) الطلب صورتها وشرح معناها في المشرق (٣ : ١٠٥٢)

الحفريات في هذه السنين الاخيرة واكتشفوا آثاراً من مدينة كانت هناك حاضرة الاشوريين. وهؤلاء العلماء الالمان عدلوا بعد ذلك الى حفر آثار مدينة اخرى في البرية كان موقعها على مسافة ٥٠ كيلو متراً من اشور في شمالها الغربي نعني بها مدينة الحضر (Hatra) التي فكّ حضرة الاب سبستيان رزقال قرّاءنا الكرام بوصف تاريخها وآثارها ورسم خارطتها وكتاباتها الآرامية التي سبق هو الى حلّ رموزها (راجع المشرق ١٥: ٥٠٩—٥٢٢)

وبعد مرورنا على الزابين عند الظهيرة سمعنا جلبةً كأنَّ قوماً يصرخون في أثرنا ثمَّ عقبها صوت طلقات نارية فنظرنا واذا بخمسة او ستة من خيّالة العرب يتجوّلون على شاطئ النهر ويتهدّدونا ببندقيّاتهم وهم يريدون على ما يظهر ان يوقفونا لينهبوا أمتعتنا. لكنَّ الضابط الذي كان في رفقتنا اطلق هو ايضاً عليهم بندقيّتهُ وأراهم بزّتهُ العسكريّة فلمّا عاينوهُ اركنوا الى الفرار

وفي اصيل النهار مرَّ طوفنا قريباً من مناجم ملح معدني تمتدّ في تلك الجهات على جانبي النهر يُستخرج منها كميّات وافرة من الملح الذي تصدرهُ ولاية الموصل الى بقيّة انحاء تركيا.

وكان من عن يميننا على ضفّة النهر المقابلة اخربة عظيمة تقصر من عهد الخلفاء بقي منهُ جدران وقناطر ونقوش بديعة وكان للقصر مسجد ذو قبّة يُرى حتى اليوم وقد اتخذت الحكومة التركيّة قسماً من هذه الابنية جعلت فيها ثلّة من جندها لحراسة الطريق وهي تُعرف بخان خزينا

وبعد ساعة من الزمان قُبيل غروب الشمس بقليل بلغ بنا السير على دجلة الى تكريت احدى المدن الشهيرة في التاريخ على حدود جزيرة فاصلة بينها وبين العراق وهي تُعَدُّ اليوم من سنجق بغداد بعد ان كانت ملحقة بسنجق الموصل

تكريت هذه راقية الى زمن الفرس ولعلّ اسمها مشتقّ من اسم دجلة اليوناني لوقوعها على ضفّتهِ الغربيّة وزعم ياقوت في معجم البلدان (٨٦٢:١) انّها دُعيت تكريت باسم امرأة من نصارى العرب تُدعى تكريت تزوّجها مرزُبان من العجم بعد ان تبعها في دينها فتنصّر. ونقل ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢٨٩) عن كتاب اللباب ان تكريت المذكورة كانت "بنت وائل اخت بكر بن وائل "

وقد حصّن الفرس تكريت وجعلوها قلعة حصينة قال ياقوت: « انّ بعض ملوك الفرس (وهو سابور بن اردشير) اوّل من بنى قلعة تكريت على حجر عظيم من جصّ وحصى كان بارزًا في وسط دجلة ولم يكن هناك بناء . . . وجعل بها مسالح ورَبايا تكون بينهم وبين الروم لئلّا يدهمهم من جهتهم امرٌ فجأةً . وكان بها مقدّم على مَن بها قائد من قوّاد الفرس ». ولما فتح العرب الموصل في ايّام عمر بن الخطاب افتتحوا تكريت صلحاً على قول البلاذري وعنوةً على قول غيره. قال البلاذري: فتحها مسعود بن خرّيث الشيبانيّ (قال) : « وكانت لامرأة من الفرس شريفة فيهم يقال لها داري ثم نزل مسعود القلعة فوُلدُه بها وابتنى بتكريت مسجدًا جامعاً وجعلهُ مرتفعاً عن الارض لأنهُ أمنهُ على خنازيرهم فكره ان تدخل المسجد »

وتكريت لعبت دورًا مهمًّا في تاريخ النصرانيّة اشتهر فيها القديس ماروثا الكبير اسقف ميافارقين الذي كان في عهد يزدجرد فارسلهُ سفيرًا مرّتين الى ملكي الروم اركاديوس وتاودوسيوس الصغير وهو الذي كتب اخبار الشهداء المستشهدين في العراق والجزيرة على عهد سابور وجمع ذخائرهم في ميّافارقين فدُعيت لذلك بمدينة الشهداء (Martyropolis). وفي القرن السادس تشيّع اهلها لليعقوبيّة ثم جعلوها مركزًا لاحد المطارنة فكان اوّل مطرانٍ منهم عليها مروثا التكريتي (٦٢٩—٦٤٠) الكاتب اليعقوبي الشهير صاحب التاغور المعروف باسمهِ ومؤلف عدّة ميامر لهُ ردود على النساطرة وتفاسير على الكتب المقدّسة . وثبّت اهل تكريت على نصرانيّتهم كما افادنا ابن حوقل وكان لهم عشر كنائس تُرى اثار بعضها الى يومنا منها جامع الاربعين الذي يصلي فيهِ المسلمون في يومنا وفيهِ نقوش وآثار جليلة

وفي ايّام المتوكل حُفر قريباً من تكريت بامرهِ نهر الدُّجيل فاخذوا قسماً من مياه دجلة ليسقوا سواد سامرّا الى قرب بغداد. وهذا النهر عُرف ايضاً بالاسحاقيّ نسبة الى اسحاق بن ابرهيم صاحب شرطة المتوكل الذي قام بحفرهِ

وفي هذه المدينة تكريت ولد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٨م) وكان ابوهُ ايوب والياً على قلعتها. وبقيت تكريت مدّةً على مناعتها ثم خربت بعد ان صارت في حكم الاتراك واليوم هي بلدة صغيرة اغلب سكّانها مسلمون وعرب ولمّا وصلنا عندها اقبل اهلها حولَ كلكتنا يصخبون ويتخاصمون ليبيعونا شيئاً

من مآكلهم وكانوا ينظرون الينا نظرهم الى الوحوش الغريبة وكان بعضهم يتزلون في كلكتا ليروا على قولهم أيرجد بين امتعتنا شيء محظور فلم ننجُ من لجاجهم الّا باعطائهم « البخشيش » وبمساعدة الشيخ المسلم الذي رافقنا ونزل هناك

لم نُطل الاقامة عند مرسى تكريت فسرنا عند المغرب منحدرين الى الجنوب وما لبث الليل ان كسا الارض بجلبابهِ فشمَّت النجوم زاهيةً زاهرةً وبعد ساعتين طلع القمر فجلّى تلك البقاع بنورهِ اللطيف فكانت ليلةً سعيدة رفعت بقلوبنا الى مكوّن بدائع الطبيعة والمصوّر مسحةً من جلالهِ تحت رونق الكائنات

وفي تلك الليلة مررنا بعدّة امكنة شهيرة في التاريخ لكنّها اليوم آثار بعد عين اوّلها « دُور » المعروفة بدُور تكريت وهي دُورة القديمة المذكورة في تاريخ حرب يليانوس للفرس (Ammien Marcellin, XXV, 6, 8,) وتُدعى اليوم بـدُور الامام لمشهد هناك رفيع اقامهُ ارباب الشيعة لذكر الامام محمّد بن موسى من سلالة الحُسين هو على شبه برج مربّع تعلوهُ قبّة مرتفعة

ثم اسكي بغداد التي كانت تُدعى بالكرخ (Charcha) وفيها مجموع من الابنية القديمة المتهدّمة كمسجد منسوب الى ابي دُلف الشهير عند العرب بكرمهِ ومنهُ الى اليوم بقايا صالحة وكقصر المتوكّل الذي سكنهُ مدّةً هذا الخليفة وفيهِ قتلهُ مماليكهُ الاتراك باغراء ابنهِ محمّد المنتصر الذي خلفهُ ولم يهنأ بالخلافة الّا نصف سنة

وهناك ايضاً قناة نهروان التي كان احتفرها ملوك بني ساسان لريّ تلك الجهات

وعند منتصف الليل بلغنا سامرّا على طرف شرقيّ دجلة وهي اليوم بلدة لا يزيد اهلها على ٣,٠٠٠ نفس او اقلّ كلهم مسلمون ثلاثة ارباعهم من الشيعة يرتزقون برعية المواشي واعمال الزراعة

وسامرّا هذه قلعة قديمة عرفهـا الرومان باسم حصن سومرا Castellum) (Sumere ثم خرب الحصن في اوّل عهد العرب. فلمّا صار الحكم الى ثامن خلفاء بني العبّاس المعتصم بنى مدينة في هـذا المكان سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦ م) لصحّة هوائها وجودة تربتها وسكنها وشاع اسمها على صورة اخرى فقالوا : سُرَّ من رأى والاسم ليس بعربيّ كما زعم البعض واصلهُ من « شومر » جيل من قدماء البابليين. قال القزويني في آثار البلاد (ص ٢٥٨) :

« وسبب بنائها انَّ جيوشهُ كثروا حتى بلغ عمالیکه سبعين الفًا فـدُّوا ابديهم على حُرَم الناس واذا ركبوا انحطم كثير من الصبيان والصبيان والضعفاء من ازدحام الخيل فاجتمع عامّة اهل بغـداد ووقفوا للمعتصم وقالوا: قد عمَّنا أذى جيوشك اما قتلهم او تنقلهم عنَّا والاَّ حاربناك . . . فقال: هذه الجيوش لا قدرة لي بها. نعم انحوّل وكـ ابة وساق من فوره ونزل سامرًّا وبنى بها دارًا وامر عسكره بمثل ذلك فعمر الناس حول قصره حتى صارت اعظم بلاد الله بناء واعلًا واغلى على جاسها خمسمائة الف دينار وجعل وجوهَ حيطانها كلها الينا وبنى المنارة التي كانت من احدى العجائب وحفر الإسحقي وبنى الملوك والامراء بهـا دورًا وقصورًا وبنى الخلفاء بها ايضًا قصورًا والمتوكل اشتقّ من دجلة قناتين شتويّة وصيفيّـة تدخلان الجامع وتتخلّلان شوارع المدينة. وفي جاسها السرداب المعروف الذي ترعم الشيعة ان مهديهم يخرج منهُ . . . »

وسكن سُرَّ من رأى بعد المعتصم ابنهُ الواثق ثم المتوكّل اخو الواثق ثم المنتصر ابن المتوكل وخلفاؤهم الى ايّام المعتضد فبنوا قصورًا انفقوا عليها اموال الدولة لاسيما المتوكل الذي بنى عشرين قصرًا منها العروس والمختار والوحيد والجعفري والغريب والفرّد واللؤلؤة انفق عليها نحو ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم والدرهم زهـاء الفرنك تقريباً. قال القزويني:

« ولم تزل سامرًا في زيادة عمارة من ايّام المعتصم الى ايّام المستعين فمند ذلك قويت شوكة الاتراك ووقعت المخالفة في الدولة فلم تزل في نقص الى زمان المعتضد بالله فانهُ انتقل الى بغداد وترك سامرًا بالكليَّة فلم يبق بها الاَّ كرخ سامرًا وموضع المشهد والباقي خراب يباب يستوحش الناظر اليها بعد ان لم يكن في الارض احسنُ ولا اجمل ولا اوسع ملكًا منها فسبحان من تتقلّب الامور ولا يتغيّر بتغيّر الازمنة والدهور »

ولم يبقَ اليوم من ذلك البهاء الاَّ قرية حقيرة وهي مع ذلك قضاء من اقضية سنجق بغداد. امَّا مشهد المهدي صاحب الزمان فيقصدهُ اهل الشيعة من كل صوب ويزعمون ان هذا المهدي يأتي منهُ في آخر الزمان مع السيّد المسيح ليدينا العالم وينتقلون الى جواره موتاهم كما يفعلون في كربلاء. وقد أقيم فيه حجر صحّي منعًا للوباء. قال ابن بطوطة في وصفها: « وهي معتدلة الهواء رائقة الحسن على ضفاف دجلة ودروس معالمها »

وقد تولّى الاثريّون في هـذه السنين الاخيرة الحفر في سامرًا اخصُّهم المأسوف عليه الجنرال بيليه (Général de Baylié) الذي غرق قبل سنتين في نهر ميكون. وقد درس فيها قصور الخلفاء وعرَّف هندستها واثبت انَّ بُناتها استعاروا كثيرًا مما

كان يُنسب الى العرب من ابنية الفرس وهندستهم (١ . وقد وصف في كتابهِ ايضاً مسجد الخلفاء الذي هناك والمأذنة التي فوقهُ وهي يُصعد اليهـا بدرج على شكل حلزوني ومثلها مأذنة مسجد ابي دُلف السابق ذكرهُ ومأذنة جامع بني طولون في مصر كلها من طرز واحد وعهد واحد . واستأنف الحفر بعـدهُ هناك الدكتور هرتسفلد الالماني فوجد من الآثار ما يطول ذكرهُ

وبين سُرَّ من رأى وبغداد نحو ١٤٠ كيلو متراً على دجلة قطعناهـا في اليوم الثالث من سفرنا من الموصل (لهُ بقيَّة)

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني

في آداب نصارى الجاهليَّة

اتينا في قسمنا الاوَّل بما وقفنا عليه من النصوص التاريخيَّة والشواهد الثابتة العيانيَّة عن نفوذ النصرانيَّة في كلّ انحاء العرب حتى اقصاها بعدًا وانحاها حدًا ثمَّ عدَّدنا القبائل التي نسب الكتبـة اليها عمومًا او الى بعض بطونها التديُّن بالدين المسيحي

وها نحن اليوم نباشر بالقسم الثاني من كتابنا نجمع فيه مـا يتعلَّق بآداب نصارى العرب في الجاهليَّة . ونريد بالآداب كلّ ما خلَّفوهُ لنا من مآثرهم في الكتابة واللغة والامثال والحكم والانشاء والشعر والخطب ممَّا رواهُ عنهم ائمَّة الادباء

(١ اطلب كتابهُ المنون (Général de Beylié : *Prome et Samarra*)